التحولات الاجتماعية ومظاهر التغير في المجتمع الجزائري

دراسة سوسيوانثروبولوجية على مدينة ورقلة

شهرزاد بوتي (طالبة دكتوراه)[1] ، **د. رابح رياب** [2]

[2.1] مخبر تحول التشكلات الاجتماعية وأثره على الهوية والفعل الاجتماعي في المجتمعات في طرق النمو

[2.1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2019/03/22 ؛ تاريخ المراجعة : 15/ 02 /2020 ؛ تاريخ القبول : 2020/03/31

الملخص:

تشهد المجتمعات اليوم العديد من التحولات والتي تمس البنى المجتمعية ولقد استجاب المجتمع الجزائري لهذه التحولات والذي تميز بحركية محسوسة في السنوات الأخيرة ما أدى إلى تغيرات على مستوى الأبنية والنظم الاجتماعية والثقافية، هذه التغيرات ارتبطت بعوامل عديدة ما انعكس على طبيعة المجتمع الجزائري.

المجتمع في مدينة ورقلة هو مجتمع تقليدي خصوصا انه يقع ضمن نطاق المجتمعات الصحراوية التي تعرف بالحفاظ على هويتها والقيم السائدة فهو يتميز بخصوصيات جعلت منه مجتمعا ذا تركيبة خاصة وبنية اجتماعية مميزة.

الكلمات المفتاحية: التحول- التحولات الاجتماعية - التغير- التغير الاجتماعي- المجتمع الصحراوي

Abstract

Societies witness a lot of changes that impact the community structure of course the Algerian society has been responded to this transformation which is characterized by many transformations in the structure, social and cultural systems . these changes have been linked to many factors, which have been reflected in the nature of Algerian society .

Ouaregla society is a traditional one because it's a Sahara society which is famous for its own traditions and keeping in it and that what make it a special society.

keywords: Transformation-Social Transformation- Change - Social Change – Desert Society

مقدمة

يعد التغير سمة المجتمعات وتخضع له جميع الظواهر مما يعني وجود قوى اجتماعية تسهم في حدوث التغير وذلك بدرجات متفاوته ، إذا نظرنا إلى التغير الاجتماعي نجده يشكل نقطة تغير جذرية في حياة المجتمعات، حيث انه يؤثر في المجتمع على كافة المستويات فالعصر الذي نعيش فيه تشهد مجتمعاته ثورة شاملة أوجدها تراكم المعرفة .

يشمل التغير الاجتماعي مجمل التغيرات التي تحدث في المجتمع إذ يشهد المجتمع الجزائري تغيرا واضحا والذي طال أنساقه البنائية المختلفة خصوصا في بنيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية غير أن هذه التحولات لا تسير بخطى ثابتة، واهم التحولات التي شهدتها الجزائر التحولات الديموغرافية والعمرانية والتي تتمثل في الانتقال الديموغرافي والتوسع الحضري والتمدين الكثيف جراء حركية السكان والذي أكسب المجتمع نمطا جديدا من خلال ظهور ممارسات جديدة غيرت من سمات المجتمع الأصلي، كما يقع التحول في البناء الاجتماعي سواء في الوظائف أو القيم والأدوار والعلاقات وهو بذلك يمثل حالة انتقال المجتمع من وضع إلى آخر مهما كان حجم وشكل هذا الانتقال حيث تتعدد مظاهره باعتبارها تمس علاقاته مع مختلف الأنساق الاجتماعية.

إن الهدف من هذه الدراسة هو تتبع التغيرات التي طرأت على المجتمع في مدينة ورقلة وهذا ضمن موجة التحولات التي يشهدها المجتمع الجزائري وسنتناول الخصائص المميزة لمجتمع ورقلة إضافة إلى العوامل المساهمة في التغير الاجتماعي في المنطقة واهم مظاهر التغير الاجتماعي في ورقلة، محاولين الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما هي مظاهر التغير الاجتماعي التي ميزت المجتمع في مدينة ورقلة؟ وهل يعتبر التحول العمراني نتيجة لموجة التغيرات التي تشهدها المنطقة؟

1- رؤية في المفاهيم

1-1 التحولات الاجتماعية

طرح" ابن خلدون"وجها للتحول ويتعلق بالتحولات التي تمر بها المجتمعات التي عاصرها، وذلك بالتحول والانتقال من حياة البداوة إلى التحضر وتكوين الدولة، وسيادة الأسر الحاكمة وسلوك المحكوم نحو الحاكم، وتحول العصبية من قبلية إلى عصبية الأسر الحاكمة وتحول مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في كل مرحلة من مراحل حياة الدولة، كما تتحدد أولويات الدولة وتتحول في كل مرحلة وفق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها[1].

كما أن التحول تم بفعل الاختلاف حول أنماط الحياة المقبولة، سواء كان هذا الاختلاف راجعا إلى التغير في الظروف الجغرافية أو في الإمكانيات الثقافية أو التكوين السكاني أو في الإيديولوجية أو نتيجة الانتشار والاختراع داخل الجماعة[2].

يعني مفهوم التحول الاجتماعي ما هو ابعد من التغير بجوانبه الكميه والكيفية فهو حالة كيفية تعبر عن تغيرات عميقة في العلاقات الأساسية بين مكونات ومستويات البنيان الاجتماعية للمجتمعات الإنسانية وما بين تلك المجتمعات من علاقات كما أن التحول يتسم بالشمول والسرعة النسبيين[3]، فالتحول الاجتماعي هو التغير المتسارع في مختلف العصور السابقة التي شهدت تغيرات بطيئة ومتباعدة فالتحول هو ذلك التغير السريع الذي يحدث كثيرا أو دائما، وبالتالي يرتبط هذا التحول بالتغير حسب درجه الانتشار فإذا كانت غير سائدة في كل مكان فنتائجه حدوث تحول في كل مكان أيضا، إلا أن التحول لا يكون مؤقتا أو مرتبطا بالضرورة بوجود أزمات بل هو مكون من تغيرات متشابكة ومعقده تحدث بصوره متتابعة يتبعها عادة فترات هادئا نسبيا كما أن نتائجه لا تتوقف بصوره مطلقه بل تتسم بالامتداد الإقليمي والعالمي[4].

1-2 التغير الاجتماعي

يعد مصطلح التغير الاجتماعي مصطلحا حديثا نسبيا، لكنه قديم من حيث الاهتمام بموضوعه، فقد كان مختلطا مع مصطلحات أخرى مثل التطور والتقدم والتنمية والنمو هذه المصطلحات التي بدأت من العلوم الاجتماعية بحيث أصبح من غير الجائز الخلط فيما بينها مع تقدم الأبحاث والدراسات الاجتماعية

يدل لفظ تغير في اللغة العربية على معنى التبدل والتحول تغير :تبدل وتحول، تغاير، تغايرت الأشياء أي اختلفت ... الغير جمع أغيار[5]، والتغير من الفعل غير أي استبدال الشيء بشيء آخر أو نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر والتغير ضد الثبات، وهو يمثل ظاهرة عامة في كل المجتمعات الإنسانية وظاهرة حقيقية إنسانية، وهو سنة من سنن الحياة لا يمكن إخفائها لمن يتصدى لفهم الحياة الاجتماعية[6]، ومنذ أن وضع "وليم اوجبرن" كتابه المعروف التغير الاجتماعي اتخذت الدراسات في هذا الموضوع منهجا علميا محددا في تحديد مفهومه[7]، يذهب "مصطفى الخشاب" إلى أن التغير الاجتماعي هو كل تحول وتغير في أنماط وانساق ووظيفة الأجهزة الاجتماعية للبناء الاجتماعي ككل خلال فترة زمنية محددة[8].

فالتغير الاجتماعي حقيقة متأصلة في طبيعة المجتمعات إذ يتناول الجيل اللاحق الجوانب الثقافية والتراث الاجتماعي من الجيل السابق ويضيف إليها تارة ويعدلها تارة أخرى بحيث ينتهي تعاقب الأجيال إلى تغير المجتمع الإنساني في الكثير من الخصائص تماشيا مع الواقع الاجتماعي، وظاهرة التغير تشمل كل مرافق الحياة فنحن نعيش في عالم مفتوح متغير غير ثابت من جميع النواحي[9]، ولقد أعطى"جيرت" و "ميلز " تعريف شامل ومحدد حيث اعتبر كلاهما أن التغير الاجتماعي هو التحول الذي يطرأ على النظم الاجتماعية وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة زمنية محددة[10]،

في حين يذهب" فرنسيس ألين "إلى أن التغير الاجتماعي يتضمن تغيرات في أسلوب الأداء الوظيفي لهذه الأنساق خلال فترة زمنية معينة[11].

كما يرى "عبد الباسط محمد حسن" بأن التغير الاجتماعي هو كل تحول يقع في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية محددة، ويصيب تركيبه أو بنيانه الطبقي أو نظمه الاجتماعية أو القيم أو المعايير السائدة أو أنماط السلوك أو نوع العلاقات السائدة، وقد يكون التغير ماديا يستهدف تغير الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية، وقد يكون التغير معنويا يستهدف تغير اتجاهات الناس وقيمهم وعاداتهم وسلوكهم[12].

ويقول "ولبرت مور" أن ظاهرة التغير الاجتماعي ليست ظاهرة حديثة إذ هناك درجات وأنواعا من التغير حدثت في الخبرة الإنسانية ولكن الاهتمام بالتغير وسرعته يرجع إلى السرعة التي حدث بها في تلك المجتمعات[13]، أما" روس" فيعني بالتغير الاجتماعي التعديلات التي تحدث في المعاني والقيم التي تنتشر في المجتمع أو بين بعض جماعاته الفرعية[14]، وينظر "فيرنشيلد " للتغير على أنه أي تغير يعتري العمليات الاجتماعية أو النظم الاجتماعية أو التكوينات الاجتماعية وقد يكون التغير تقدميا أو ثابتا أو مؤقتا مخططا أو غير مخطط، موجها أو غير موجه، مفيدا أو ضارا[15].

أما من الناحية الأنثروبولوجية فقد أشارت " مارغريت مىد " في كتابها التغير التقني والثقافي إلى أن هناك تغير جزئي يحدث في بعض جوانب المجتمع وكلي يحدث في معظم جوانبه ، وذلك يدل على أن التغير قد يكون شاملا كما يمكنه أن يكون في بعض مجالات الحياة، والتغير الشامل يمكنه أن يمثل تحولا أو انحرافا عن مظاهر الحياة السابقة من خلال تبني التنظيم والبناء الملائم في مظاهر الحياة الجديدة[16].

3-1 المجتمع الصحراوي

إن مجموعة كبيرة من الباحثين في ميدان البداوة والمجتمع الصحراوي عموما يكادون يتفقون على أن الحدود المجالية لهذا المجتمع (مجتمع الصحراء) لم تكن مطروحة في السابق، ذلك أن الصحراء عبارة عن أرض واسعة جدا يجوبها الرحال جيئة وذهابا بحثا عن الكلأ والماء بالدرجة الأولى بحيث لم يكن في عرف الرحل ما يمكن تسميته بصحراء المغرب وصحراء الجزائر وصحراء موريتانيا... بل الصحراء واحدة والمجال واحد والجغرافيا واحدة، ولا وجود لحدود سياسية أو جغرافية لهذا المجتمع إلا عندما تبدأ المدن أو شواطئ البحر، هذين المعطيين هما الوحيدان اللذان كانا يشكلان في السابق حدودا للمجتمع الصحراوي[17].

فالمجال الصحراوي الشرقي الجزائري يمتد من بسكرة شمالا وينتهي إلى وادي سوف في الجنوب الشرقي إلى ورقلة وغرداية والاغواط في الجنوب الأوسط[18]، بما أن وطن الجزائر فسيح وشاسع وبما أن المجتمع الصحراوي يختلف باختلاف موقعه فإننا هنا نركز على المجتمع الصحراوي بورقلة إذ يعتبر مجتمع الصحراء من المجتمعات الممتدة في فضاء واسع جدا بمنطقة شمال إفريقيا عموما والجنوب الجزائري على وجه التحديد، وهو مجال معروف بخصوصية طبيعية وثقافية يمتاز بها عن باقي أنماط المجتمعات الأخرى.

2 - خصائص المجتمع في مدينة ورقلة: المجتمع في مدينة ورقلة يتميز بالعديد من الخصائص والتي نذكر منها :

2-1 نسق العلاقات القرابية

يرتبط أفراد المجتمع مع بعضهم البعض ارتباطا وثيقا خصوصا أن العلاقات القرابية تلعب دورا هاما في هذا المجتمع لما له من تأثير على النسق الاجتماعي، فالنظام الاجتماعي الأكثر شيوعا هو نظام القرابة والذي يحدد نمط العلاقات الاجتماعية، فالمجتمع في مدينة ورقلة ضمن فترات سابقة كان يغلب عليه الزواج القرابي وهذا ما ينتج عنه تماسك اجتماعي نتيجة الاندماج الأسري وكذا اقتراب المساكن الاجتماعية للأقارب من بعضهم البعض فنجدهم يشغلون حيزا مكانيا جغرافيا واسعا، وهذا ما كان يميز المجتمعات الصحراوية نمط القرابة الدموية والتضامن الاجتماعي فرغم تفكك هذه البنية ظاهريا إلا أنها مستمرة رمزيا فهي لا تفتأ تستعيد إنتاج بعض ملامحها في مناسبات عديدة فالقرابة من

الوسائل الاجتماعية التي تحدد العلاقات الاجتماعية، في المدينة اليوم نشهد أشكال متنوعة من العلاقات منها علاقات الجيرة وعلاقات العمل وغيرها، إلا أن الظاهر اليوم هو بعض الضعف الذي تخلل شبكة العلاقات القرابية فالانفصال المجالي للأسر أدى إلى تغير نمط العلاقات فالمدينة اليوم تعج بالعديد من السكان من مختلف ولايات الوطن وحتى من خارجه هذا ما انعكس على شبكة العلاقات القرابية.

2-2 النسق القيمي

البناء المجتمعي في مدينة ورقلة يحاول غرس قيم معينة تمثل النموذج الاجتماعي المقبول في هذا المجتمع، ويمتاز المجتمع بالمحافظة على المبادئ والتقاليد فعن طريق التنشئة الاجتماعية التي توفرها الأسرة للطفل وخلالها يتم فرض التنظيم وتحقيق الضبط الاجتماعي داخل المجتمع، يحاول الأفراد في هذه المدينة الحفاظ على منظومة القيم الاجتماعية رغم التوجه نحو الفردانية داخل المجتمع وبروز الفرد على الجماعة إلا أن التمسك بالقيم كان مرده العامل الديني ذلك انه وسيلة لتحقيق الضبط الاجتماعي والمعروف عن المجتمعات الصحراوية في الجزائر تمسكها بالضوابط الدينية، إلا أن العديد من المؤثرات كانت سببا في انخفاض التمسك بالقيم المجتمعية منها تناقص دور مؤسسات التنشئة في القيام بدورها في عملية الضبط الاجتماعي، إضافة إلى دور الحضرية في تشكل قيم جديدة وتبني الثقافة العصرية في عملية التنشئة فحسب دراسة قامت بها فتيحة حراث حول صراع القيم في التربية الأسرية وجدت أن الأسرة اتجهت نحو تبني ثقافة عصرية بدل التمسك بقيم الثقافة التقليدية.

3-2 التمسك بالتقاليد

يعرف معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا العادات والتقاليد الشعبية أنها ظاهرة تاريخية ومعاصرة، هي من حقائق الوجود الاجتماعي ونعني بها الممارسات والسلوكات التي درج الناس على عملها أو القيام بها وتكرر الفعل بها حتى أصبحت مألوفة، فالتقليد هو عرف يرتكز على الروتين، والواقع أن كل تقليد يميل إلى تمييز بعض التصرفات التي يشرعها ماض غالبا ما يكون عابرا[19]، فمثلا مجتمع القصر العتيق بورقلة هذا الجزء الاجتماعي من مجتمع ورقلة الذي يمثله كل من العروش التالية بني إبراهيم ، بني وقين ، بني سيسين هاته العروش لديهم عادات وتقاليد جد متميزة خاصة في تمسكهم الكبير بكل صغيرة وكبيرة حول القيم والأعراف التي يؤدونها في كل مناسبة دينية كانت أو اجتماعية مما يوحي بمدى ارتباط هؤلاء القوم بهوياتهم وكذا الترابط بين أسرهم هذه الظاهرة التي أصبحت تفتقر لها الكثير من المجتمعات [20].

4-2الانتماء

إن الانتماء هو التواجد في مكان معين مع مجموعة أشخاص تربط بينهم مصالح مشتركة في الرقعة الجغرافية الواحدة انطلاقاً من السكن و الأرض التي تكون نسق من العلاقات الاجتماعية وفق ثقافة مشتركة بين أفراد هذا المجتمع ، حيث تكفل هذه العلاقات الشعور المشترك والمصير الواحد ، يمكن أن نلاحظ أن الإحساس القوي بوحدة القبيلة عند البدو المتمدنين بقي موجودا رغم عشريات من التمدن و التثبيت ، هذه الهيكلة الاجتماعية لا تزال فاعلة عند المجموعات الاجتماعية[21].

طبيعة المجتمع الجزائري تغلب عليه الحركية المستمرة وهذا ما ينتج ظواهر اجتماعية مختلفة فتعتبر التقاليد من العوامل المهمة في توحيد الذهنيات رغم اختلافاها باختلاف الثقافات والمجتمعات، يعد مجتمع مدينة ورقلة من المجتمعات الصحراوية المحافظة على موروثها الثقافي والتقليدي ذلك أن العادات الموروثة انتقلت من جيل إلى جيل .

5-2 علاقة الجيرة

تعتبر علاقة الجيرة في المجتمع الحضري وحدة اجتماعية يسودها نمط العلاقات الأولية، التي تسمح بالتآلف ويصاحبها تجانس واضح في الضبط الاجتماعي غير الرسمي، هذه الجماعة يتميز أعضاؤها بالقرب المكاني وبالتالي فإن الجيران يتميزون بعلاقات الوجه للوجه، هذه العلاقات تجعل كل الجيران يشكلون جماعة أولية[22].

فعلاقة الجيران هي علاقة عمرانية وليست اجتماعية كون أن سكان المدينة لا يحبذون الاحتكاك ببعضهم البعض و ذلك يعود إلى الاختلاف في الممارسات الثقافية إلا إذا تعلق الأمر بالمصالح فالجماعة في هذا المجال تبدو علاقاتها قصيرة

المدى تشمل قضاء مصالح مشتركة معينة للجماعة، فالجماعة في هذا المجال تبحث عن مكانة تمكنها من لعب دورها الاجتماعي داخل هذا المجال من خلال ممارستها الثقافية لتعزيز هويتها الجماعية[23].

تلعب علاقة الجيرة دورا هاما في بناء المجتمع إلا أن النزعة الفردانية هيمنت على العلاقات الاجتماعية داخل المدن فقد فرضت الايكولوجيا العمرانية العزلة الذاتية وأصبحت هناك مسافات بين السكان وأدى هذا إلى انكماش العلاقات.

3- عوامل التغير الاجتماعي في مدينة ورقلة

3-1 العوامل التعليمية :

يحظى التعليم باهتمام كبير في المجتمع الجزائري حيث تخصص له ميزانية ضخمة فالتعليم مهم في تكوين الإنسان وترقية المجتمع، لقد كان لإجبارية التعليم ومجانيته في الجزائر آثارا إيجابية في عمليات التغير الاجتماعي حيث كان وما يزال واحد من المتغيرات الأساسية، وتجلى ذلك في شكل تحسن المستوى الصحي والثقافي والمظهر الحياتي للسكان والنهوض بالمدن المعزولة.

فالتعليم يرفع مستوى الوعي الاجتماعي بخلق الاتجاهات الايجابية وسيادة العادات والتقاليد العصرية، مما يعضد البرامج والأنشطة التنموية ويسرع في عملية التغير الاجتماعي[24].

بلغ عدد المدارس الابتدائية بمدينة ورقلة 64 مدرسة ابتدائية و28 متوسطة و13 ثانوية مما يعزز فكرة توجه هذا المجتمع نحو التعليم ومحاولة الوصول بالمجتمع إلى مستوى علمي جيد[25]، لقد كان للنظام التعليمي دور كبير في عملية التغير الاجتماعي التي طالت مدينة ورقلة ومجتمعها وأولها كان بافتتاح جامعة قاصدي مرباح مما ساهم في تغير الاتجاهات بشكل عام خصوصا نحو قضايا التعليم وساهم هذا في دخول الفتيات إلى المدارس والجامعات والذي عدل من الأدوار الاجتماعية التي تقوم بها خصوصا الخروج للعمل والمساهمة في القرارات الأسرية.

3-2 العوامل السياسية:

تعتبر العوامل السياسية عامل من عوامل التغير الاجتماعي لها فاعليتها في التأثير على البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية وتعكس آثارها على التنشئة الاجتماعية مما يحدث فيها من تغيرات تؤثر في القيم والأفكار، فالأحداث السياسية المفاجئة تؤثرا تأثيرا مباشرا في التغير الاجتماعي.

فالمجتمع الصحراوي له توجهات فكرية مغايرة عن تلك الموجودة في المناطق الأخرى ورغم تحظر المدينة إلا أن التوجهات الخاصة بهذا المجتمع لا تزال تلقي بظلالها عليه خاصة مع تمسك المجتمع بتقاليده وعراقة ماضيه ، إلا أننا لا ننكر أن هناك تحولا فيما يسمى بالتوجهات السياسية وهذا ما نلحظه من خلال ارتفاع موجة الاحتجاجات التي يخوضها شباب المنطقة لمحاولة تغيير الوضع المحلي والنهوض بالمنطقة وهذا من خلال المطالب المرفوعة و تعددها وما يلاحظ هنا هو ذلك الاحتجاج المنظم الخالي من الفوضى وهو ما يدل على درجة الوعي الذي يتمتع به الشباب المحتج .

3-3 العوامل الديموغرافية:

والمقصود بها حجم السكان ونموهم ومعدلات الهجرة والخصوبة والوفيات وحجم فئة الشباب إلى العدد الإجمالي للسكان، ويمكن الإشارة إلى أن معدل نمو السكان مرتبط بعمليتي التحضر والتصنيع، وهناك من ينظر إلى النمو السكاني المتزايد عاملا معيقا للتقدم والتطور ومصدرا لأشكال التغير الاجتماعي غير المرغوب فيها، كما تعد الهجرة متغيرا ديموغرافيا مهما في التغير الاجتماعي، فالحركات السكانية مهما كان نوعها سواء كانت مقصودة أو إجبارية فإنها تحدث تغيرات هائلة في أماكن متعددة وفي ذلك جملة من الآثار الايجابية والسلبية، فقد أكدت العديد من الدراسات على أن النزوح أو الهجرة من مجتمع إلى آخر يؤدي إلى اللاتوازن السكاني الذي يؤثر على مختلف النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة في المجتمع[26].

فالمجتمع في مدينة ورقلة يعتبر ذو تركيبة متنوعة ومتعددة هذه التركيبة نتيجة لكون المدينة ذات توجه تجاري بامتياز وكذا نتيجة لوجود مورد اقتصادي مهم، ففي ولاية ورقلة ككل بلغ عدد الهجرة الوافدة سنة 2008 ما نسبته 48.92 % [27]وهذه النسبة تخص فقط الهجرة الوافدة من ولايات الوطن ، وحسب دراسة ميدانية قام بها الباحث عبد القادر خليفة في مدينة ورقلة بين فيفري وماي2015، وجد أن الأحياء الهامشية للمدينة مأوى للعديد من المهاجرين الأفارقة فهم يُفَضّلون السكن في ورشات البناء كما يتواجد العديد منهم في مركز الإيواء بوسط المدينة والذي يأوي حوالي 500 إلى 600 مهاجرٍ من كل الجنسيات الإفريقية بالرغم من عملية الترحيل التي مست الغالبية في شهر جانفي وفيفري 2015 إلا أن أعدادا متزايدة منهم متواجدة في هذا المركز وكثير من الذين صرحوا أنهم يعودون في كل مرة يتم ترحيلهم فيها بمجرد تخطيهم للحدود[28].

3-4 العوامل التكنولوجية:

يقصد بالعوامل التكنولوجية كل العوامل التي هي من ابتكار الإنسان للعمل على إشباع حاجاته المختلفة بحيث كل اختراع أو اكتشاف أي مادة أو وسيلة يعتبر شيء جديد من وسائل الإشباع التي يحتاجها الإنسان، ولها أثارها الواضحة والكبيرة في عملية التغير الاجتماعي، والعامل التكنولوجي له أثاره الواسعة في تحديد مشاكل المجتمع وكذا وظيفة المجتمع سواء من النواحي الاقتصادية والاجتماعية أو العمرانية وقد أدت الثورة الصناعية إلى قيام تكنولوجيا آلية واقتصاد السوق والمجتمع الصناعي، كما أدى الأسلوب الصناعي في الإنتاج إلى قيام تنظير اقتصادي يؤثر على جميع أجزاء المجتمع الذي أدى بدوره إلى تأثير التغير التكنولوجي المادي على المؤسسات الاجتماعية مثل المنزل والأسرة والمدرسة[29].

تقوم التطورات التكنولوجية بدور كبير في إحداث التغير الاجتماعي ولعل من أبرز ذلك تلك الاكتشافات المختلفة وفي جميع مناحي الحياة فانعكس ذلك على البناء الاجتماعي برمته فأحدثت تلك المبتكرات تغيرات على الجوانب المختلفة للأسرة والمجتمع من صحة وتعليم وثقافة ومسكن وعلى البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وإذا كان ثمة إجماع على تأثير الاختراعات التكنولوجية على التغير الاجتماعي فإن ثمة جدال حول معدل التغير، كان لانتشار وسائل الاتصال كالإذاعة والصحف والتليفزيون دور كبير في التأثير على تغير المجتمعات التقليدية فهي وسيلة لنقل الأفكار والسلوكات وانتقالها إلى تبني خصائص المجتمعات الحديثة.

لقد استجاب مجتمع مدينة ورقلة إلى التطورات التكنولوجية ونجد ذلك من خلال المنظومة الصحية وتطورها وكذا زيادة أعداد المتمدرسين على مستوى المدينة مما ينعكس على الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي عزز من نشاط المجتمع في هذه المجالات.

4- مظاهر التغير الاجتماعي في مدينة ورقلة

التغير الاجتماعي للمجتمع الجزائري الحديث وبالنسبة للغالبية من المجتمع ومنذ الاستقلال ارتبط بظاهرتين أساسيتين، واحدة تخص الشمال تمثلت فيما سمي بالنزوح الريفي، والثانية وهي موازية لها تخص الجنوب تمثلت فيما نسميه تمدن البدو أو تثبيت البدو، هذين الظاهرتين وما رافقهما من عوامل كالسياسة التنموية والنمو الديمغرافي هي الظواهر التي طبعت واقع المجتمع الجزائري منذ الاستقلال[30]، وفي ما يلي بعض مظاهر التغير الاجتماعي التي ميزت المجتمع في مدينة ورقلة

1-4 تكوين المجتمع الحضري

كان لازدهار النشاط الاقتصادي في مدينة ورقلة دور كبير في ظهور التجمعات الحضرية وهي مرحلة حاسمة من خلال انتقال المجتمع من حالة البداوة إلى مرحلة التحضر فقد تعرضت المدينة لتغيرات كبيرة من خلال زيادة عدد السكان وظهور تغير عمراني مصاحب للتغير السكاني ما أثمر عن تنوع في الأصول الثقافية داخل المجتمع، لقد كان لوجود الثروة النفطية في هذه المنطقة دور كبير في التغير الحاصل لهذا المجتمع فقد أصبحت المدينة وجهة للعديد من الوافدين نتيجة للموارد المالية التي توفرها العوائد النفطية والتي كفلت لهذا المجتمع مجاراة المدن الأخرى وانتقل المجتمع من مجتمع بسيط

يرعى الإبل ومعتمد على الزراعة وبناؤه الاجتماعي عبارة عن قبائل تربطها علاقات قرابة وتزاوج إلى مجتمع مركب يعيش شكلا من التحضر السريع ما أسهم في النمو المساحي وتنوع أشكال وأنماط السكن .

4-2 التغيرات في نظام الأسرة:

لقد كان للتغيرات الاجتماعية الثقافية والاقتصادية للمجتمع الحديث تأثيرها على الأسرة فأحدثت فيها تغيرات مهمة على مستوى النظم الاجتماعية والعلاقات خصوصا بعد التحولات في البنية الاجتماعية والاقتصادية التي طالت المجتمع في مدينة ورقلة، ونتيجة لانفتاح المجتمع نجد الأسرة في هذه المدينة تعرضت لجملة من التحولات الأساسية خصوصا على مستوى البناء والوظيفة ما يميز هذه الأسر هو أنها كانت أسر ممتدة وكان هذا النمط من الأسر مستقرا لدرجة كبيرة خصوصا أن هذا التماسك نابع أساسا من رابطة الدم ويضمن وحدة العائلة وتلاحمها فهي تتشكل عادة من عدة عائلات تتركب من الجد والأب والأحفاد فترتكز السلطة في يد الكبار وعلى رأسهم رب العائلة، كما يميز العائلة أيضا الزواج الداخلي ونتيجة لقوة نسق القرابة نجد أن شعور المشاركة والأمن الجماعي كبير جدا، ومع التحولات التي واجهها المجتمع في مدينة ورقلة بدأ النظام الأسري بالتحول بداية من تقلص حجم الأسرة إلى اسرة نووية تعتمد على تنظيم الإنجاب وتغير الأدوار الأسرية حيث بدأت المرأة تتبوأ أدوارا جديدة نتيجة لخروجها للعمل.

نجد في المدينة بنية عائلية مضطربة [31]هكذا عبر بوتفنوشت مصطفى على البناء العائلي في المجتمع الجزائري وهو ما ينطبق على مدينة ورقلة ومجتمعها فلقد تغير نمط العائلة من عائلة تقليدية كبيرة الحجم من حيث عدد الأفراد إلى عائلة نووية والتي تنفصل في مسكنها الخاص إلا أن ما يميز عائلات هذا المجتمع هو أنها غير مفككة اجتماعيا هذا لان العائلة الجزائرية عموما لا تزال قوية البنية.

العائلة الجزائرية هي عائلة متغيرة، والصراع بين القديم والجديد وبين التقليدي والحديث هو قائم داخل العائلة، والتطور يتم داخل ضغط اجتماعي مزدوج بين احترام التقاليد والتطلع إلى الحضرية والعصرنة والتحديث[32].

4-3 التحول العمراني في مدينة ورقلة

أصبحت من مميزات المدينة الصحراوية اليوم عملية التحول العمراني والتي ألغت النسيج العمراني المحلي وحل محله العمارات العمودية والبناء الأفقي، مدينة ورقلة كغيرها من المدن الصحراوية تعيش جملة من التحولات على المستوى العمراني، ما يميز مدينة ورقلة هو الطابع العمراني المتماشي مع طبيعة المنطقة فهي ذات مناخ قاس حار جاف وهو ما يجعلنا نعرج على المدينة العتيقة (قصر ورقلة) مستودع التراث التي استنبطت مقوماتها من العمارة الإسلامية وأثبتت مدى التكيف مع الظروف المناخية والبيئة المحلية خاصة عاملي التشميس والرياح واستعمال الشوارع الضيقة، وهو الأمر الذي حقق توازن بيئي طويل المدى فتصميمها ومواد بناءها هي نواة تشكل المدينة الصحراوية فهي ذاكرة هذا المجتمع ويتسم هذا الموروث العمراني بالاعتماد على مبدأ الحرمة كأساس في هيكلة الفضاءات الداخلية والخارجية وإعطاء الأولوية في التخطيط للتجهيزات الدينية بتمركزها في أماكن بارزة.

في أغلب الأحيان حاليا تأخذ المرفولوجية المجالية للمدينة الصحراوية شكل انضمام لعدة أنسجة تتماثل مع أربعة فترات تاريخية للعمران، القصر أو المدينة التقليدية التاريخية و التي تؤلف نواة المدينة، المدينة أو الإضافات الكولونيالية حول المدينة القديمة أو على جانبها، الأحياء العشوائية التي ميزت الفترة الأولى للاستقلال أو التي ضمت تثبيت البدو الرحل، أحياء التعمير المبرمج في إطار البرامج السكنية المختلفة من سكن فردي ذاتي وسكن جماعي[33].

تأثرت مدينة ورقلة بعامل التحضر والذي فرضته الحداثة وأصبحت الأسرة ترغب في إضفاء طابع عصري على مساكنها هذه التحولات في المساكن أدت إلى تغير النمط العمراني، عرف السكن في مدينة ورقلة تحولا كبيرا حيث تم الانتقال من النمط التقليدي إلى العصري غير المراعي لخصوصية المدينة كما انتشرت المساكن الجماعية وهي عبارة عن تجمع مساكن في مبنى واحد بطوابق وقد ساعد في ذلك التدفق الكبير للوافدين من المناطق الداخلية مما أدى إلى تغير النمط

والقيم المعمارية وتلاشي ملامح الهوية العمرانية للمدينة خصوصا في تشكيلات المساكن والتي كانت معظمها تعبر عن مجتمع المدينة المعروف بالخصوصية والمحافظة على الحرمة.

4-4 تحول نظام الزواج

يولي المجتمع الجزائري اهتماما كبيرا للزواج باعتباره نظام اجتماعي مؤسسي وسبب في استقرار الرجل والمرأة نفسيا وعاطفيا واجتماعيا، فهو يشبع ميول الإنسان في تكوين أسرة، كما أنه يشبع غرائزه الجنسية ويعتبر حقا لكل إنسان ويترتب عليه حقوق وواجبات بين أفراد الأسر[34].

عرف الزواج حسب نظر" الهواري عدي "مظاهر جديدة تبدأ بربط علاقات صداقة بين الإناث والذكور مخالفين بذلك التعاليم الدينية التي لا تسمح بمثل هذه العلاقات والتقاليد الاجتماعية التي تنبذ من يقوم بذلك وهذا حكم لا يمكن تعميمه على كل مكونات المجتمع، بينما هو مظهر من مظاهر التحول التي أصبحت تزاحم التقاليد والأعراف في مجال الزواج، والتي يرجح مصدرها إلى محتوى برامج التسلية والترفيه ومشاهدة القنوات الأجنبية، إذ أدى ذلك إلى عمليات التقليد في غياب كلي للقيم والمبادئ والرقابة الأسرية والاجتماعية لهذه العلاقات التي قد تنتهي بالزواج أو بعلاقات غير شرعية أو بتشويه الصورة الاجتماعية للمعنيين على أقل تقدير، أو حتى تأخر أو عدم الزواج وتكون هذه العلاقة بين الجنسين من الحي نفسه أو داخل أماكن العمل والدراسة كمظهر يفضل فيه الفرد التعرف على الفتاة خارج محيط العائلة مما قد يزعج الأم التي ترى في الفتاة المختارة أنها ستأخذ منها ابنها وغير مطيعة لها[35].

المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية تغير لديه مفهوم الزواج وأصبح عبارة عن تقليد للثقافات الغربية خصوصا مع تراجع الزواج الداخلي، رضخ المجتمع الورقلي للتحولات في نظام الزواج فقد كانت الأسر الممتدة تظم مجموعة اسر زواجية وتنقل بذلك العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج التي كانت تضع قيودا على اختيار الشريك، وأصبح المجتمع متأثرا بالتحولات ومنها مسألة الزواج وحرية الاختيار خصوصا مع حركة الهجرة داخل المدينة وكذا الانفتاح على الجماعات الوافدة مما ساهم في تحول نظام الزواج وانشر الزواج الخارجي الذي ارتبط بمفاهيم جديدة كالعاطفة مما قلص من القيم القديمة للزواج.

الخلاصة:

التغير ظاهرة مصاحبة للمجتمعات البشرية وأصبح التحرر من العادات والتقاليد سمة هذه المجتمعات ويظهر التغير مؤثرا على العديد من الأنساق داخل المجتمع مما يؤثر على النظام الاجتماعي وتتغير البنى والوظائف والقيم التي تؤثر في الأدوار، لقد اظهر المجتمع الورقلي تجاوبا مع التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري مما أدى إلى تحول سريع في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية مع ملاحظة بطء نسبي في التحول في النظام الثقافي والاجتماعي نتيجة غلبة السمة المحافظة، إلا أن العوامل الخارجية أثرت في المجتمع ونلحظ ذلك من خلال :

- تغير شكل المساكن التقليدية إلى حديثة وعمارات عمودية .
- شكل الأسر من ممتدة أصبح الشكل السائد هو الأسر النووية.
- تغير حجم الأسرة بعد أن كانت الأسر تميل إلى إنجاب عدد كبير من الأبناء أصبحت اليوم تميل إلى تنظيم النسل.
- السلطة داخل الأسرة إذ تتحدد مكانة الأسرة وفقا لمكانة الرجل ومع تعليم المرأة وخروجها للعمل أصبح للمرأة مكانة مغايرة وأساسية داخل الأسرة.
- التحول في نظام الزواج من زواج قرابي وداخلي إلى خارجي اختياري.

الاحالات والمراجع:

[1] مصطفى الخشاب (1977)، **دراسة المجتمع**، القاهرة: مكتبة الأنجلوا المصرية، ص188.

[2] الدسوقي إبراهيم(2004)، **التغير الاجتماعي والوعي الطبقي**، الإسكندرية :دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص42

[3]اعتماد علام وعبد الباسط عبد المعطي(2003)، **العولمة وقضايا المرأة والعمل**، أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات العليا والبحوث والخدمات المتكاملة، جامعة عين شمس، ص 108.

[4] عبد الهادي الجوهري (1983)، **قاموس علم الاجتماع**، القاهرة :مكتبة نهضة الشرق، ص 198

[5]لويس معلوف (1969)، **المنجد في اللغة و الاعلام** ، بيروت : معاجم دار الشروق الكاثوليكية ، ص246.

[6] حسين عبد الحميد أحمد رشوان (2008)، **التغير الاجتماعي و المجتمع** ، الاسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، ص04.

[7] عبد الغني عماد (2006)، **سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ..من الحداثة إلى العولمة**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،،ص 189.

[8] مصطفى الخشاب (1989)، **دراسات في علم الاجتماع العائلي** ، بيروت: دار النهضة العربية ، ص91.

[9] محمد عاطف غيث(1979)، **قاموس علم الاجتماع**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص414-415.

[10] احمد النكلاوي (1968)، **التغير و البناء الاجتماعي** ، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة، ص 08.

[11] أحمد زايد (2000)، **التغير الاجتماعي** ، القاهرة :مكتبة الأنجلومصرية، ص18.

[12] عبد الباسط حسن، **التغير الاجتماعي في المجتمع الاشتراكي** ، القاهرة :قراءات في الخدمة الاجتماعية، مكتبة القاهرة الحديثة ، ص49.

[13] فادية عمر الجولاني (1993)، **التغير الاجتماعي** ، الإسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة ، ص10.

[14] تهاني حسن،**الثقافة والثقافات الفرعية** (1997)،مصر: دار المعرفة الجامعية، ص 240.

[15] فادية عمر الجولاني، مرجع سابق،ص 13.

[16] عبد الرحمان بن خلدون (1992)، **المقدمة**، الطبعة 11،بيروت: دار القلم ، ص376

[17] حمد شرايمي وآخرون (2009)، **تنمية مجتمع الصحراء، بين سياسة الدولة وإمكانات المجتمع المحلي**،الطبعة الاولى، الرباط: أبحاث ودراسات حول الصحراء، طوب بريس، ص98.

[18] حسان الجيلاني، **التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي "وادي سوف نموذجا" (2010)** ، مجلة البحوث والدراسات، 9(1)، الجزائر: جامعة الوادي، ص ص 155-178،على الخط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/25679 ، (تاريخ الزيارة: 2019/10/04)

[19] بونت، بيار وإيزار، ميتشال(2006)، **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، ترجمة وإشراف مصباح الصمد، الطبعة الاولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، ص. 386.

[20] مصباح الهلي، **المعتقدات الشعبية حول الزواج, الحمل, الولادة بمنطقة القصر العتيق بورقلة** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،4(8) ، الجزائر:جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،ص ص 335-345، على الخط https://www.asjp.cerist.dz/en/article/20488 (تاريخ الزيارة 2020/02/11)

[21] خليفة عبد القادر :**الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية** ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية،4(8) ، الجزائر:جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،ص ص 1-9 ، على الخط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/20471، (تاريخ الزيارة :2019/10/04)

[22] طارق تواتي وفايزة التونسي، **تمثلات علاقات الجيرة داخل البناءات المعمارية العمودية بالمدن الصحراوية بين التقليد والحداثة** دراسة ميدانية بمدينة بريان – غرداية- مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية22(7) الجزائر:جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،ص ص 297-304، على الخط https://www.asjp.cerist.dz/en/article/38995 (2020/02/11)

[23]الناصر بودبزة وشراد محمد، **الممارسة الثقافية بين الهوية الاجتماعية و للمجال العمراني** دراسة ميدانية لبعض مناطق ولاية ورقلة، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية22(7) الجزائر:جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،ص ص 265-271، على الخط https://www.asjp.cerist.dz/en/article/38992 (2020/02/11)

[24] رشيد زوزو(2008)، **الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر 1988- 2008** ، أطروحة دكتوراه، ، علم اجتماع التنمية ، جامعة منتوري قسنطينة ، ص97.

[25] مديرية التربية لولاية ورقلة، ، احصاء مؤسسات التربية والتعليم 2019/2018.

[26] يزيد عباسي(2016) ، **مشكلات الشباب الاجتماعيه في ضوء التغيرات الاجتماعية الراهنة في الجزائر** ، أطروحة دكتوراه ، علم اجتماع التنمية ، جامعة محمد خيذر بسكرة ، ص 76

[27] طارق بن بية (2017)، **التحولات الديموغرافية والتحول في الصحراء الجزائرية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الديموغرافيا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران02، ص 161.

[28] خليفة عبد القادر، **مهاجرو دول الساحل في مدن الصحراء الجزائرية : من مسار عبور إلى فضاء استقرار (مدينة ورقلة - الجزائر)، مجلة انسانيات 70(19)، الجزائر:** مركز البحث في الأنثربولوجيا الإجتماعية و الثقافية، ص ص 39-60، على الخط https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41863 (2020/02/11)

[29] بدوي السيد محمد(1985)، **مدخل إلى علم الاجتماع**، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية،ص291.

[30] خليفة عبد القادر (2011)، **تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمران في مدن الصحراء الجزائرية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة،ص 96.

[31] BOUTFNOUCHT – Mustafa, **Système social et changement social en Algérie**, OP4, Alger, Algérie, p40

[32] بوتفنوشت مصطفى(1984) ،تر: احمد دمري، **العائلة الجزائرية التطور والخصائص**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،ص 232

[33] خليفة عبد القادر، **مدن الصحراء الجزائرية في التحولات** (مقاربة سوسيو -أنثروبولوجية في مدينة تقرت- وادي ريغ)، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والانسانية1(1) الجزائر:جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،ص ص 126-138 على الخط https://www.asjp.cerist.dz/en/article/5074 (2020/02/11)

[34] موسى بودهان(2005)،**قانون الأسرة الجزائري**، الطبعة الأولى، الجزائر:دار الطباعة للنشر والتوزيع ،ص05.

[35] Lahouari Addi(1999)**, Les mutations de la société Algérienne**, édition la découverte Paris XIII, P84- 85.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

شهرزاد بوتي (طالبة دكتوراه)، د. رابح رياب، (2020)، **التحولات الاجتماعية ومظاهر التغير في المجتمع الجزائري**-دراسة سوسيوانثروبولوجية على مدينة ورقلة- ، مجلة الباحث، المجلد 12(01)/ 2020، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 165-174.